كلمة الأب هادي محفوظ، رئيس جامعة الروح القدس – الكسليك

دكتوراه طلال المقدسي

٦ أيلول ٢٠١٢

الحكاية، هذا المساء، هي لبنانيّة، ترتسم ملامحها بين مؤسسة وشخص. المؤسسة هي جامعة الروح القدس – الكسليك، ابنة اللبنانية، الرهبانية البلديّة، التي شاءت ألّا يلفظ اسمها بدون اسم لبنان، فتسمّت بالرهبانية اللبنانية المارونية. والشخص هو السيد طلال المقدسي، اللبناني البقاعي الذي اعتلى جبال لبنان، فحطّ ناظرًا صوب الساحل عملًا وصوب الأفق إبحارًا، فيما ناظره الثاني ابقاه على بقاع الأصل والمنشأ. وفي كلّ هذا هو لبنانيّ.

إن بدأت باللون اللبنانيّ للمؤسسة وللمحتفى به، فلأنّني أود وإيّاكم أن أطرق باب موضوع الوطن وأدخل رحابه للتوقف عند فكرة الإبداع فيه، وعند فكرة الثبات في الإبداع في خضمّ الصعاب، وعند فكرة النجاح الحقيقيّ الذي يتحقق في نموّ الفرد في منظومة نموّ المجتمع.

فاحتفال هذا المساء يجب أن يعطي كلّ لبنانيّ زخمًا وَعَزْمًا كبيرين، فيما يسمّر البعض في هذه الأيام أرجلهم في الإحباط متلهّين في النظر إلى غيوم ملبّدة، غير فاقهين سموّ مسار التاريخ فوق الأحداث العاديّة فيه، وغير ناظرين إلى رجالات كبار يعكسون أمثولات تاريخ لبنان المهور بالإبداع وبتحدي الصعاب.

أدخل رحاب موضوع الوطن لأتوقف أوّلًا عند الإبداع فيه. لقد خلق الله وطننا لبنان جميلًا وجميلًا جدًّا. وإنّ كثيرًا من أبنائه أبدعوا في ميادين عديدة، وتألّق الكثير من اللبنانيين في عالم العلم وعالم الأعمال، ويُشار، في بلدان عديدة، إلى اللبنانيّ، بشكل مميّز، بفضل إبداع الكثيرين من لبنان.

أدخل أيضًا رحاب موضوع الوطن لأنّ لبنان تعوّد على المثابرة على الإبداع في الصعاب. لطالما شبّه لبنان بطائر الفينيق النافض عنه غبار الموت، المنطلق مجدّدًا إلى الحياة. إنّ التفكير في التاريخ الحديث للبنان يؤكّد لنا هذه

المقولة. والغوص في حكايات أشخاص كثيرين فيه وقيام أعمال كثيرة واستثمارات ونجاحات مؤخّرًا يؤكّد ما تكلّمت عنه من مثابرة في الإبداع في خضمّ الصعاب. هذا الثبات وهذه المثابرة محفّزان لكلّ صاحب إرادة وكلّ متّكل على الربّ سيّد التاريخ، للمضيّ قدما إلى الأمام، بدون التوقف عند المصاعب والعراقيل. فإنّ من ينظر إلى لبنان بعين سلبيّة ويصيبه القلق الوجوديّ المحبط إحباطًا مُيَئِّسًا، يغفل أن القلق الوجوديّ حاضر في كلّ مجتمع وفي كلّ البلدان، وأنّ التاريخ هو بين يدي سيّده، أي الله، وأنّ أفقه أوسع من الأفق الذي يراه الإنسان، لأنّ هذا الأخير قد يساهم في صنع التاريخ ولكنّه عاجز عن التحكّم به وبمكوّناته. هذه هي النظرة الإيجابيّة والواقعيّة والراجية. فالرجاء طبع اللبنانيّين عبر العصور، بفعل إيمانهم وبفعل ما عاشوه من مصاعب ومحن، تخطوها بالاتكال على الله وبالمثابرة على الإبداع في خضمّ الصعاب. ليس الرجاء حالة ترف فكري يهرب بها وإليها الإنسان فيأمل بأحداث جميلة في حياته، بل إنّ الرجاء هو التيقن أن التاريخ جميل لأنّه بين يدي الله وأنّ على الإنسان المثابرة على الخير، فهذا وحده سبيل النجاح الجوهريّ والدائم.

وفي رحاب موضوع الوطن لبنان، يطيب الكلام عن نموّ الفرد ونموّ الجماعة، أو بعبارة أخرى عن الخير الشخصيّ والخير العام. إنّه موضوع في بالغ الأهميّة، خاصة بالنسبة إلى وطننا الحبيب لبنان. نحن بحاجة كثيرًا إلى تصويب تفكيرنا في هذا الصدد، لننمو جميعًا. فكلّ إنسان يهتمّ بنموّه الشخصيّ وبنجاحه، وهذا أمر شرعيّ وحق وحميد. ولكنّ كثيرين منّا يغفلون أن النموّ الشخصيّ لا يتحقّق إلاّ بنموّ المجتمع الذي ينتمي إليه الشخص. والمفارقة الغريبة والصحيحة في آن معًا، هي أنّ الأنانيّة تقتل نموّ الأنا، فيما الاهتمام بنموّ الأنا مع التنبّه الدائم إلى نموّ النحن كفيل بنموّ الإثنين معًا. كلمة يسوع هي المنيرة في هذا الصدد: "إنّ حبّة الحنطة إن لم تقع في الأرض وتمت، تبقى مفردة، وإن ماتت أتت بثمار كثيرة" (يو ١٢: ٢٤). فالذات الإنسانيّة لا تنمو إن هي لم تخرج من ذاتها في حركة محبّة تجاه الآخرين. هذه هي الأنا التي تنمو بنموّ النحن، وهذه هي الأنا التي، لا سمح الله، تسقط بإيذاء النحن. عندما يعي الإنسان أنّ نجاحه من نجاح المجتمع الموجود فيه، يساهم في نموّ هذا المجتمع، فينمو. منطق ثبتت صحته عبر العصور بشكل مبين، ولكنّه لا يحظى بالتبني في كثير من الحالات، لأنّ الدهاء الإنسانيّ المبنيّ على الأنانيّة والمتغاضي عن الآخر، يغشّ صاحبه، راميًا إيّاه في قلّة الذكاء. وحدها المحبّة والطيبة والخير كفيلة في ردّ الذكاءِ ذكاءً وخيرًا للإنسان. إنّ إحقاق الحقّ وإرادة الخير والمحبة وحماية النحن هي أسس بدونها يتفتت المجتمع. يقول قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في رسالته الاجتماعيّة، "المحبّة في الحقيقة": "بدون حقيقة، بدون ثقة وبدون محبة ما هو حقّ، لا يوجد وعي أو مسؤولية اجتماعية، والعمل الاجتماعي يصبح فريسة منافع خاصة ومنطق سلطة تؤدي الى تفتّت المجتمع" (عدد ٥).

هي نقاط ثلاث توحيها مناسبة هذا المساء، لأنّها ترتبط بلبنان وبجامعتنا وبالمحتفى به. هل يخفى على أحد أنّ الأستاذ طلال المقدسي أبدع، وثبت وثابر على الابداع في خضمّ الصعاب وأنّه يساهم بنموّ المجتمع و بالخير العام؟

هو رجل انطلق باكرًا جدا إلى العمل. وفيما كانت نار الفتنة في لبنان تستعر، أحسن قراءة الواقع المحلي والاقليمي والدولي، فنظر إلى البعيد وانطلق يعمل ويبني. هذا أيضًا من حكمة الإداري الناجح. فأعمل قدراته ومهاراته الإدارية وأسّس شركات عديدة في حقل الإعلان والتسويق والإعلام وأعلى شأنها. وارتفع عدد العاملين معه إلى قرابة الألف والخمسماية رجلًا وامرأة، في لبنان، كما في بلدان عديدة. لقد نجح نجاحًا باهرًا في إدارة أعماله، بفطرة وحكمة وفطنة ودراية وحزم وانفتاح على الآخر. فهو في إدارة الأعمال مرجع يصلح أن يُعطى نهج إدارته مثلًا في برامج الدراسة الجامعيّة في حقل إدارة الأعمال. لذلك اختير سنة ٢٠٠٧ رجل العام للإعلان والتسويق في لبنان وفي المملكة العربية السعودية. هو إذا مثل عن الإبداع اللبنانيّ، عن طريقة الشخصيّة اللبنانيّة الخاطّة لذاتها طريقًا، عليه الإبداع رفيق، ومآله هو الإبداع.

ولم يكن درب الإبداع عنده سهلًا. فلقد انطلق عليه طلال المقدسي، ومثل وطنه، تحدّى صعابًا جمّى انبرت في وجهه منذ حداثته، إذ فقد الوالد في سنّ مبكّرة واضطر إلى بدء العمل على الفور بعدها. وفيما كان يعلي البنيان في مؤسساته وشركاته، كانت بعض الظروف القاسية تحاول إيقافه عن التقدم، مثل احتراق مكاتبه في الاشرفية منذ بضعة سنوات. فكان ينطلق من جديد، غير عابئ بالتحديات، مفكّرًا بالعاملين معه، مصمّمًا على المضيّ إلى الأمام. إنّه في كلّ ذلك أيضًا مثل في الإدارة الحكيمة والمثابرة والمتخطية للمشاكل والمصاعب. إنّه مثل لبنانيّ بهيّ.

وطلال المقدسي الإنسان الإنسان قبل كلّ شيء، كما يحلو له أن يعرّف عن ذاته، يتجلّى في حسّه العام، أي في اهتمامه بالخير العام، خاصة في وطننا الحبيب لبنان. هذا ما أشرت اليه سابقا في جدليّة نموّ الأنا والنحن معًا. هو ينمو، وليعطه الله نعمة تلو نعمة، وخيرًا فوق خير، فهذا حقّ وهذا شرعيّ، كما ذكرت سابقًا. ولكن طلال المقدسي ينظر إلى الآخر، إلى الإنسان، خاصة الأضعف، ويساعده كما يجب، وينظر إلى الخير العام والى القضايا النبيلة في مجتمعه. إنّ قلب طلال المقدسي هو على لبنان، أي إنّه يتحسّر لمشاكله. ولكن في الوقت عينه، قلبه في لبنان، أي إنّه يحبّه. وهنا مكمن القوة. فمحبة لبنان تعني ديناميّة في التعاطي مع شؤونه ومع صعوباته التي تثير الشفقة. القلب على لبنان لا يجدي وحده، حريّ بنا ان يكون القلب في لبنان. ذاك هو طلال المقدسي الذي صوّرته في بداية كلمتي معتليًا الجبل اللبناني ناظرًا إلى العمل الساحليّ والى الإبحار الفينيقي للإتجار بالوزنات، وناظرًا إلى بقاع الأصل والمنشأ والقلب عليها وفيها. ففيما عمل في لبنان وخارج لبنان، كان على الدوام، يعمل

للبنان، للخير العام فيه. فلقد زرع خيرا هنا وهناك، بذكاء وباستراتيجية لا تعوّد الناس على الكسل والبطالة، بل تخلق لهم فرص العمل. مثالا على ذلك، التبرع بمشروع بحيرات الريّ في منطقة بعلبك وقرى الأطراف، وتأمين العيش الكريم ومستوصفات للطبابة ودعم أقساط مدرسية وتوزيع أشجار مثمرة وحصص غذائية ووقود لتدفئة المعوزين من أهل الأطراف، عدا عن مساهمته في تنشيط الرياضة في نوادٍ عدّة في لبنان.

والخير العام يتجلى لطلال المقدسي أيضًا في خدمة القضايا النبيلة في المجتمع، مثل العمل الجامعيّ، وخدمة قضايا البيئة. هو يؤمن بأهميّة تشابك الأيدي مع الخيّرين من أجل إعلاء شأن القضايا النبيلة. لذلك أوجّه اليه الشكر للمساهمة الفعّالة والكبيرة في خدمة قضية البيئة في جامعتنا وتحقيق القسم الأول من مشروع الجامعة الخالية من الكربون الذي اطلقناه سنة ٢٠١٠. إنّها جامعة الروح القدس – الكسليك التي تسير على هدي الروح القدس، والتي ترسم خطّة عمل لتوطيد هويّة الجامعة كواحة عمل جامعيّ فيها الجودة على الأصعدة كافة عنوان، وفيها تتحقق رسالة الكنيسة الكاثوليكية، ورسالة الرهبانية اللبنانية المارونية، التي تريد نموّ كلّ إنسان، بدون أي تمييز، وكلّ الإنسان، في كلّ أبعاده.

بناء على كلّ ما أوردت في كلمتي عن نقاط ثلاث حميدة تتلاقى وشخص السيد طلال المقدسي، تتضح الآن جيدا سببية وصوابية منحه دكتوراه فخرية في جامعة الروح القدس – الكسليك. فهذه الجامعة التي فئة دمها الكنيسة والإنسان ولبنان يطيب لها أن تكرّم رجلًا لبنانيًّا، رجلًا مبدعًا، رجلًا مثابرًا في خضم الصعاب، رجلًا يخدم الإنسان والخير العام، رجلًا اختار تاريخ الدكتوراه الفخرية في قلب ورشة كبيرة، له الفضل الأكبر فيها، وهي تحوّل العاديّ إلى فسحة خضار وأمل، وكأنّي به يقول إن كلّ حدث في حياته إنّما هو محطة في ورشة عمل كبيرة هدفها الخير والنموّ.

هذا المساء، تستقرّ عباءة الدكتوراه على كتفيه، مزهوّة لأنّ مسيرته المهنيّة والإنسانيّة تناسبها. فدرجة الدكتوراه هي تتويج لمسيرة يثبت من خلالها الإنسان أنّه بارع في الحقل الذي يعمل فيه. ولا شكّ عند أحد أن طلال المقدسي بارع في عمله وفي لبنانيّته وفي خدمة الخير العام.

وعليه، أتشرف، حضرة السيد طلال المقدسي، باسم جامعة الروح القدس – الكسليك، أن أعلنك دكتورًا في إدارة الأعمال. فتفضل. وشكرًا.